الأهرام

١٩٥٧/٤/١٠

يوم الحرية والكرامة

ما اقرب اليوم من الامس وما ابعده !

الامس ، ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ . تفتح قناة السويس مجراها للملاحة العالمية في عيد طبقت شهرته الآفاق ولكنه كان لمصر مأتما . فمصر نهب للمطامع استعمارية تجثم على صدرها الثقل من السيطرة العثمانية . ومصر يتولى امرها حاكم اجنبي عنها أهون عليه ان يستسلم للمطامع الاستعمارية . فالمياه التي انسابت في ذلك اليوم من بحر الى بحر مرت حزينة ، في هديرها نشيد رثاء . كانت امواج القناة تندب عشرات الآلاف من ابناء الوطن سخرهم الاستعمار في حفر القناة وقتله بهم الرغبي والعباد ، فلقوا حتفهم في خدمة الاستعمار .
كانت امواج القناة تندب حظ وطنها يشق للعالم بأسره طريق اليسر والرخاء ، ولا ينعم بفتات من الخير الذي ينثره على العالم بأسره كان هذا الوطن قد خلق مسخرا ، كعشرات الآلاف من ابنائه هؤلاء ، لخدمة بلاد تقتضي للسيادة بحكم لامرد له من ارادة الاقدار !
فكانت امواج القناة اذ تحمل ما تحمل من سفن رائحة غربا ، انما تحمل ما تحمل من اثقال : كانت امواج القناة في حداد لازمته ثماني وثمانين من السنوات .

اليوم ١٠ ابريل سنة ١٩٥٧ . تعود قناة السويس فتفتح مجراها للملاحة العالمية في عيد هو اليوم عيدها ، لانه عيد وطنها . اليوم خلعت عنها ثوب الحداد لان مجراها شقته الكرامة فتدفقت فيه مياه الحرية . تقوض العرش المشؤوم الذي جلس عليه الاستعمار اسرة منتهية ، كما تقوض آخر ركن من اركان الاستعمارية يدكه معول الثورة . فمصر يرفع لواءها بطل من ابنائها ما عرفته الحكام السابقون امثلة للخنوع او الجبن او الفساد او الانانية ، ضربه هو امثلة للاباء والعدل وطهارة الذمة والتضحية . القوة القاهرة التي طالما تستعلي مصر بالسخرة ، تحولت اليوم الى مصر ولكن مصر لم تستخدمها لتسخير دولة او تسخير احد في غير ما ترضاه الصداقة . فالتحكم الذي طالما كان ديدن الدول الكبيرة التي اختالت سلطتها في قناتنا من ثمان وثمانين سنة التحكم الذي عبث بحقنا وعاثت منه كرامتنا ما علقت ، صار اليوم ديدننا ولكنه تحكم الحق وتحكم الكرامة . فاليوم لا نعلن على الملا اننا اصحاب السيادة على قناتنا تنظم الملاحة فيها وفق مشيئتنا لا نتقاضى فيها نعرض الا حقنا ولا نطمع في مغنم الا مغنم كرامتنا . وهكذا تحمل امواج القناة في السفن التي تحملها ، رسالة . هي رسالة الحضارة تؤديها تلك الامواج الطروب لوصل قارات متعاونة في ظل السلام ، لا قارة تستسيطر اعداءها على الاخرى كما سيطرت ثماني وثمانين سنة كانت فيها تلك الامواج اداة استعباد .

١٧ نوفمبر ١٨٦٩ . برؤوس متوجة لما افتتحت الملاحة عبر القناة ، وكان بينها رأس امبراطورة تختال بعظمتها وجمالها اوربا المنتصرة .

١٠ ابريل سنة ١٩٥٧ . لا برؤوس متوجة ، ولا امبراطورة عظيمة جميلة ، ولا اوربا سائدة . التيجان المتوهجة اليوم تيجان التعاون الدولي في الحق والعدل ، فما وهجها الا الرخاء العالمي في الامن والسلام . الامبراطورة العظيمة الجميلة هي الكرامة ، فما تاجها الا الاستقلال . اوربا السائدة في العالم بأسره لما سيادته الا الاخاء

بالامس كان الاستعمار هو من يفتح القناة فيفتحها بيد الاثرة والغطرسة والاستبداد .

واليوم يكفي الحق والحرية بشيرا ان مصر هي من تفتح القناة .

اليوم يمحو الامس كما ان النور يمحو الظلام .

www.ethraadl.com
اثراء المعارف الرقمية